

كتاب الورقة لمحمد بن داود بن الجراح ت (٢٩٦هـ)

(دراسة في السير والأشعار)

آوات إحسان عز الدين

أ.د. باسم ناظم سليمان

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كركوك

الملخص:

تتناول هذه الدراسة كتاب الورقة لمحمد بن داود بن الجراح، من حيث السير والأشعار الواردة فيه، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على حياة المؤلف والتعريف بكتابه ومصادره، كما هدفت كذلك إلى التعرف على سير الشعراء الذين تُرجم لهم في الكتاب ودراساتها اجتماعياً وفكرياً ونفسياً وشكلياً، كما هدفت الدراسة إلى الحديث عن الرؤى الفكرية والموضوعية كالمديح، والفخر، والرتاء، والشوق إلى الوطن والحنين إليه، كما هدفت أيضاً إلى بيان أهم سمات شعر كتاب الورقة، من حيث اللغة الشعرية، وصورها، والمحسنات البديعية، والأساليب الصوتية والبلاغية.

أما من حيث نتائج الدراسة فإن القارئ لكتاب الورقة يدرك أهمية ترجمات ابن الجراح لترجم بعض الرجال لا يُعرف عنهم أنهم شعراء بالدرجة الأولى بل كانوا رجال سياسة وأدب وفقهاء ورواة شعر، كما يدرك القارئ حضور الأساليب البلاغية والصوتية والمحسنات البلاغية اللفظية والمعنوية بما يخدم المعنى المراد إيصاله في النص الشعري، إضافة إلى إظهار الدراسة كيفية اجتهاد الشعراء في توظيف الرؤى الفكرية والأغراض الشعرية لإيصال المعنى المراد إلى المتلقي.

الكلمات المفتاحية: (شعر، الورقة، ابن الجراح).

The Book of Al-Waraqqa by Muhammad bin Dawud bin Al-Jarrah d. (296 AH)

(A Study in Biographies and Poetry)

Awat Ihsan Izz Al-Din

Prof. Dr. Basem Nazim Suleiman

College of Education for Humanities/University of Kirkuk

Abstract:

This study deals with the book Al-Waraqqa by Muhammad bin Dawud bin Al-Jarrah, in terms of the biographies and poems contained in it. The study aimed to learn about the author's life and to introduce his book and its sources. It also aimed to learn about the biographies of the poets who were translated in the book and to study them socially, intellectually, psychologically and formally. The study also aimed to discuss intellectual and objective visions such as praise, pride, elegy, longing for the homeland and nostalgia for it. It also aimed to clarify the most important features of the poetry of the book Al-Waraqqa, in terms

of poetic language, its images, rhetorical devices, and phonetic and rhetorical styles. As for the results of the study, the reader of the book Al-Waraqqa realizes the importance of Ibn Al-Jarrah's translations of the biographies of some men who are not known to be poets in the first place, but were rather politicians, men of literature, jurists, and narrators of poetry. The reader also realizes the presence of rhetorical and vocal styles and verbal and moral rhetorical embellishments that serve the intended meaning in the poetic text, in addition to the study showing how poets strive to employ intellectual visions and poetic purposes to convey the intended meaning to the recipient.

Keywords: (poetry, Al-Waraqqa, Ibn Al-Jarrah).

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام البلغاء والخطباء والمتكلمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم والدين.

وبعد: فإن ما تفرد به كتاب الورقة لأبي عبدالله محمد بن داود بن الجراح (ت ٢٩٦هـ) أنه يعدّ أحد أهم المصادر والأصول لتراجم العديد من الشعراء المغمورين و المقلين، ولكنه مع كل أسف لم يصل إلى هذا العصر تاماً، إذ فُقدت الكثير من أجزاءه، و ظهرت طبعاته مشوبة بالنقص، وهذا النقص اتضح وجلي أمره لوجود نقولات في كتب التراجم المتأخرة نقلت من كتاب الورقة ولم نجد لها في كتاب الورقة لابن الجراح، وقد حاول البعض البحث عن أصل تلك النقول وضمها إلى كتاب الورقة، معتنين بجمعها وتحقيقتها، نظراً لما للكتاب من أهمية في كتب التراث والأدب.

وفي هذا البحث ستحاول الباحثة إنارة بعض الجوانب التي غفل عنها البعض من خلال التوسع في الدراسة وليس حصرها بالدراسة التاريخية، بل إثرائها من خلال دراسة الأغراض والموضوعات والأساليب البلاغية والبيانية والصوتية الواردة في المختارات الشعرية الواردة في كتاب الورقة.

أسباب البحث وأهدافه: إن ما دفع الباحثة لاختيار الدراسة هو اقتصار اهتمام الباحثين والنقاد بكتاب الورقة فقط من جانب واحد هو الجمع والتحقيق، دون دراسة سيرهم باستفاضة إضافة إلى عدم تطرق الباحثين للحديث عن الأغراض الشعرية والأساليب والصور الفنية الواردة في تلك القصائد.

وقد هدفت الدراسة بداية إلى التعرف على المصنف وكتابه ومكانته في تراجم الشعراء وأثر الكتاب فيمن أتى بعد المصنف ونهج منهجه في الحديث عن الشعراء وترجماتهم واعتماد كثير من

المصنفين على المعلومات الواردة في كتاب الورقة.

كما هدفت الدراسة أيضاً إلى إظهار الأغراض الشعرية الواردة في كتاب الورقة والتعليق عليها، مثل المديح، والفخر، والرثاء، والغزل، وغيرها، وأيضاً هدفت الدراسة إلى بيان سمات القوائد الواردة في الكتاب، من حيث اللغة الشعرية، وصورها، والمحسنات البديعية، والأساليب الصوتية، والبلاغية.

إشكالية البحث: وقد طرحت الدراسة عدة أسئلة والتي ستعمل الباحثة على الإجابة عنها

كل في حينه ومكانه هي كالتالي:

- ما أهمية كتاب الورقة كنموذج لدراسة تراجم الشعراء؟
- ما الجوانب الاجتماعية والنفسية والفكرية لسير الشعراء المترجم لهم في كتاب الورقة؟
- ما هي أهم الأغراض والمواضيع الشعرية الواردة في كتاب الورقة؟
- ما الأساليب الإنشائية والبلاغية، والبيانية، والصوتية الواردة في كتاب الورقة؟

منهج البحث: ومن حيث منهج البحث فقد اتبعت الباحثة في دراستها هذه على المنهج التكاملي لما لهذا المنهج من قدرة في تبيان الموضوعات والأغراض الشعرية الواردة في كتاب الورقة إضافة إلى مناسبة المنهج لإظهار المعاني البلاغية في شعر من ترجم لهم المصنف محمد بن داود بن الجراح.

خطة البحث: اقتضت الدراسة أن تقسم على خمسة مباحث يسبقهم تمهيد وفق التالي:

التمهيد: التعريف بحياة المصنف محمد بن داود بن الجراح، إضافة إلى التعريف بكتابه الورقة.

المبحث الأول: مفهوم السيرة والجوانب الاجتماعية والنفسية والشكلية لمفهوم السيرة في كتاب الورقة.

المبحث الثاني: الرؤى الفكرية والموضوعية للقوائد الشعرية الواردة في كتاب الورقة كالمديح والرثاء والهجاء والوصف والغزل وغيرها،

المبحث الثالث: الدراسة الفنية للقوائد الواردة في الكتاب ويقصد بها الأساليب البيانية للقوائد كالتشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها، إضافة إلى الحديث عن الأساليب الإيقاعية مثل الوزن والقافية والروي الواردة في قصائد كتاب الورقة وختمت الباحثة المبحث بدراسة أساليب الإنشاء الطلبي.

ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصل لها البحث، مع ذكر قائمة المصادر والمراجع بعدها.

تمهيد

التعريف بالمؤلف وكتابه

أولاً: التعريف بالمؤلف:

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته : اسمه: محمد بن داود بن الجراح، وكنيته أبي عبد الله، ولقبه بالكاتب، وهو عم علي بن عيسى الوزير^(١).

مولده ونشأته: ولد محمد بن داود بن الجراح، أبو عبد الله الكاتب في سنة ثلاث وأربعين ومائتين^(٢)، ووالده داود بن الجراح أحد المؤلفين والكتاب في القرن الثالث الهجري، وقد تولى ديوان الزمام^(٣) في عهد الخليفة المتوكل على الله وكتب للخليفة المستعين بالله، وألف داود بن الجراح والد المؤلف كتباً بالتاريخ وأخبار الكتاب وتاريخ الرسائل، ومن حيث النشأة لم تذكر المصادر شيئاً عن حياة المؤلف وطفولته، بل طوت الصفحات الأولى من حياته عابرة على أيام شبابه ونضجه، ولكن استقراء النشأة من مكانة والده تدل على أنه نشأ في بيئة أدبية صرفة، كون والد المؤلف كان متولياً لشؤون الديوان في عهد بعض خلفاء الدولة العباسية.

مصنفاته: لمحمد بن داود بن الجراح مصنفات عديدة هي:

- كتاب الورقة في أخبار الشعر والشعراء، كتب به إلى ابن المنجم.
- كتاب الشعر والشعراء.

(١) ينظر: تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٢٦هـ)، دار الكتاب، العربي، بيروت، (د.ت) ١٤/١٢، والوزير هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير الأجل والمحدث الصادق توفي سنة ٣٣٤هـ. وسير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٨٥م، ٢٩٨/١٥، و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي، دار الكتب. ٢٨٨/٣.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ٩١/١٣.

(٣) الديوان هو: موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال. ينظر: الأحكام السلطانية، الماوردي ٢٩٧. وديوان الزمام يعني: أن تجمع الدواوين كلها لرجل واحد يضبطها بزمام يكون على رأس كل ديوان، وعملها مراقبة سائر دواوين الدولة ومراقبة أعمال الدواوين وحساباتها وكيفية تنفيذها. ينظر: النظم الإسلامية، حسن إبراهيم حسن، ١٥٩.

- كتاب أخبار الوزراء شرحه وزاد فيه أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عامر.
- كتاب من سمي عمراً من الشعراء في الجاهلية والإسلام.
- كتاب الأربعة في أخبار الشعراء^(١).

ومن الجدير بالذكر أن لابن الجراح روايات عدة للحديث الشريف أكثرها في المعجم الصغير للطبراني، حيث روى عن: عمر بن شبة، وعبيد الله بن سعد الزهري، وطبقتهما، وأبي يعلى زكريا بن يحيى المنقري.

وعنه: أحمد بن عبيد الله بن عمار، وعمر بن الحسن الأشناني القاضي، وسليمان الطبراني وغيرهم^(٢).

وعده ابن قطلوبغا من الرواة الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، وقيل: أنه صدوق عارف بالأخبار^(٣).

مكانته وثناء العلماء عليه: اهتم علماء الحديث والسير والأدب القدماء بكتاب الورقة وغيره مما صنفه ابن الجراح اهتماماً جلياً، ويتضح ذلك جلياً من خلال نقولاتهم فيما صنّفوه من كتب السير والتراجم، ويعد كتاب الورقة حجر أساس للعديد من الكتب التاريخية المتخصصة بتراجم وسير الشعراء، وممن استند في مواده على كتاب الورقة على سبيل المثال ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق^(٤)، كما نقل عنه غيره من المصنفين والمؤرخين والعلماء في شتى

(١) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٣/٧٠، و فوات الوفيات، الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر. بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤، ٣/٣٥٤ والإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التورخ، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، دار الصمعي الرياض. السعودية، ٢٠١٧، ص ٣٣٧.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١ / ٢٠٠٣ م، ٢٦٣/٢٢، تاريخ بغداد، ج ٣/١٥٦-١٥٨.

(٣) ينظر: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السوداني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشبخوني) الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث، صنعاء، ٢٠١١هـ، ٨/٢٧٧.

(٤) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من إرديها وأهلها، ابن

ومختلف العلوم الأدبية والشرعية والتاريخية: فنقل عنه الدارقطني في المؤلف والمختلف تقديمه لإبراهيم بن هرمة على بشار وأبي نواس، وغيرهما من المحدثين^(١) وهذا دليل أنه له باع في النقد وطبقات الشعراء حيث وافق الأصمعي في تفضيله لابن هرمة: «ختم الشعر بابن هرمة، وهو آخر الحجج»^(٢).

وبالحديث عن الثناء فقد كثر من أتى على المؤلف ومنهم الطبري إذ نقل عنه الخطيب قوله: أنه متقدم في معناه، عالي الرتبة في أبناء جنسه^(٣).

وأثنى عليه ابن النديم بقوله: لم ير في زمانه أفضل منه ووزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافته وكان عالماً قد لقي الناس وأخذ عن العلماء والفصحاء والشعراء وكتب بخطه ما لا يحصى كثرة وجميع ما يقع بخطه قد قرأه وأصلحه^(٤)، وقال عنه ابن الأثير: كان عالماً بالكتابة^(٥)، وقال عنه بكر أبو زيد في كتاب طبقات النسابين: الكاتب الأخباري العلامة. صاحب التصانيف، وكان أوحد زمانه في معرفة أيام الناس^(٦).

ومن أصدق الثناء ما جرى على لسان الخصوم والأعداء، فعندما ورد خبر مقتل محمد بن داود بن الجراح إلى الوزير ابن الفرات^(٧)؛ اغتم غماً شديداً، وبكى حتى قال: كان في عداوته لي عاقلاً،

-
- عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ٩٧/٨.
- (١) ينظر: المؤلف والمختلف، الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي. بيروت، ١٩٨٦م، ٤/٣٠٥.
- (٢) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب، ١٣١/٦.
- (٣) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٣٠٦/١١.
- (٤) ينظر: الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان. دار الفتوى، بيروت، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٦١.
- (٥) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، عز الدين، (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي. بيروت، ١٩٩٧م، ج ٦/ص ٦٠٤.
- (٦) ينظر: طبقات النسابين، بكر أبو زيد، بكر بن عبد الله بن محمد بن ع بد الله بن بكر بن عثمان بن محمد (ت ١٤٢٩هـ)، دار الرشد، الرياض، ١٩٨٧م، ص ٧١.
- (٧) علي بن محمد بن موسى، أبو الحسن، ابن الفرات (٢٤١-٣١٢هـ)، وزير من الدهاة الفصحاء الأدباء، مهد الدولة للمقتدر العباسي، تولى الوزارة ثلاثة مرات، سجن في آخرها وضرب عنقه وطرحت جثته في دجلة، وأخباره في كتاب

وكان من أقرب أعدائي انقياداً إلى ما أريد، ومع ذلك فكان كاتباً، فاضلاً، عارفاً بالخراج والجيش، والحديث، والأدب، والشعر، ظريفاً، شجاعاً، سخياً، سمحاً، كريماً^(١).

وفاته: توفي قتلاً في ربيع الأول من سنة ست وتسعين ومائتين عن ثلاث وخمسين سنة^(٢).

ثانياً: التعريف بكتاب الورقة ومصادره:

نبذة عن الكتاب: يعد كتاب الورقة لابن الجراح من كتب التراجم وهو أحد طلائع الكتب التي تضمنت أخبار شعراء القرون الأولى، وتأتي أهميته كونه من الكتب التي صارت أصلاً لما كتب بعده، سواء أكان ذلك نصاً أم تصرفاً، وإن لم يذكر اسمه ولا اسم مصنفه، شأنه كشأن كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وطبقات الشعراء لابن المعتز.

وقد قيل كما ذكر محقق الكتاب أن ابن الجراح سمى كتابه الورقة لأنه التزم فيه أن يترجم لكل شاعر في ورقة واحدة، وليس معنى هذا أن التراجم سواء في طولها، فالكتاب يشهد بغير هذا، فبعض التراجم في النسخة التي في أيدي المحقق تصل لأربع صفحات، وبعضها ثلاث وبعضها صفحة أو أقل، وأكثر التراجم نحو صفتين.

وقد تضمنت النسخة التي حققها الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد الستار أحمد فراج؛ ثماني وخمسين ترجمة، فيها ثلاث تراجم لشاعرين معاً، وواحدة لثلاثة شعراء، ويشتمل الكتاب على شعراء مغمورين، أو رجال قالوا الشعر ولم يعدوا في الشعراء، كذلك سمى المؤلف شعراء مغمورين عرفوا بالكنى فيسر للقارئ تتبعمهم في كتب التراجم المرتبة على الأسماء^(٣).

فابن الجراح في كتابه لم يترجم فقط للأعلام الكبار بل ترجم لمغمورين منهم أبي

الصائب (الوزراء) كثيرة. ينظر: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، الصائب، هلال بن المحسن، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، ١١، والأعلام، الزركلي، ٤/٣٢٤.

(١) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قراوغلي بن عبد الله (٦٥٤هـ)، تحقيق: محمد بركات، كامل الخراط، عمار ربحاوي، رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزبيق، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣، ٣٥٥/١٦.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٧٥٦/١٤.

(٣) مقدمة تحقيق كتاب الورقة، د. عبد الوهاب عزام، د. عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط٣، ص ١٥.

العذافر، والبطين بن أمية البجلي، وميمون الحضري وغيرهم. والملاحظ في كتاب الورقة أن كل الشعراء والأعلام الذين ترجم لهم ابن الجراح في كتابه كانوا محدثين نسبياً، إذ لم يترجم لشعراء الجاهلية أو الإسلام أو العصر الأموي. ومما يتوجب ذكره أن لكتاب الورقة محقق آخر هو الدكتور عباس الجراح وقد صدرت الطبعة الأولى منه في سنة ٢٠١٣، عن دار الشؤون الثقافية العامة تحت عنوان الورقة في أخبار الشعراء المحدثين، ثم أخرج طبعة أخرى من دار صادر بيروت سنة ٢٠١٤م^(١).

وقام الدكتور الجراح بعدها بإعادة نشر الكتاب بعد إضافات وتعديلات جديدة في دار ملامح الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، سنة ٢٠٢٢، وقد ضمت التتمة فيه ١٠٢ نصاً. مصادر كتاب الورقة: كما أن كتاب الورقة كان أصلاً ومصدراً مهماً للعديد من المؤلفين، وكذلك كتاب الورقة فمصنفه ابن الجراح رحمه الله كان يعود إلى مصادر سبقته، أو عاصرته، ومن المؤلفين الذين عاد إلى كتبهم وأكثر من النقول عنهم: دعبل الخزاعي، وهو مؤلف كتاب في تراجم الشعراء، فنرى في طيات الورقة قول ابن الجراح في ترجمته لأبي الجهم الأنباري الكاتب^(٢): "شاعر محسن طريف .. وأنشد دعبل أبي جهم أحمد بن سيف في كتاب الشعراء:

أعاذل ليس البخل مني سجية ولكن رأيت الفقر شر سبيل^(٣)

كما نقل ابن الجراح في كتابه عن أبي هفان المهزمي^(٤)، والراجح أنه كان ينقل عن كتابه المفقود (الأربعة في أخبار الشعراء)، وهذا مما يزيد من قيمة كتاب الورقة، كما نقل من مؤلفات هارون بن المنجم^(٥) ومما يؤخذ على ابن الجراح أنه لم يكن يسمي دوماً الكتب التي ينقل عنها اقتباساته أو بعض

(١) ينظر: تتمة الورقة، د. عباس هاني الجراح، مجلة الذخائر، العدد ٣١ و٣٢، السنة الثامنة، ٢٠١٢م / ٩٦.

(٢) أحمد بن سيف الأنباري أبو الجهم الكاتب، شاعر محسن طريف أورد له محمد بن داود ابن الجراح في أخبار الشعراء بعض شعره وقال أشعاره قصار ملاح، ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٢٥٥/٦.

(٣) ينظر: كتاب الورقة، ابن الجراح، محمد بن داود، تحقيق: د. عبد الوهاب عزام، أ. عبد الستار أحمد فراج، ص ١٢٣.

(٤) عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي، (٢٥٧هـ)، راوية عالم بالشعر والأدب، من الشعراء من أهل البصرة، سكن بغداد، وأخذ عن الأصمعي وغيره، وكان متهتكاً فقيراً، له الأربعة في أخبار الشعراء، وصناعة الشعر وأخبار أبي نواس مطبوع، ينظر: تهذيب التهذيب ١٤٠/٥ غاية النهاية ٤٠٤/١، الأعلام ٦٥/٤.

(٥) هارون بن علي بن يحيى أبو عبد الله ابن المنجم البغدادي (٢٥١-٢٨٨هـ)، عالم بالأدب، من أهل بغداد، له تصانيف منها كتاب النساء، والمختار في الأغاني، واختيار الشعراء كبير لم يتمه، وأشهر تأليفه البارع في أخبار

ترجماته، وهذا المأخذ لا ينتقص من قيمة الكتاب ولا مصنفه فكتاب الورقة يبقى مصدراً من مصادر الشعر والشعراء قبل القرن الثالث الهجري، ولا يسع الباحثين والدارسين للأدب الاستغناء عنه، إنما نتيجته أنه أفقد الباحثين معرفة بعض المصادر الدقيقة لاقتباساته ونقولاته.

المبحث الأول

السيرة وجوانبها المختلفة

أولاً: مفهوم السيرة لغة واصطلاحاً:

السيرة لغةً: مادة سير؛ والسَّيرُ: الذهاب، وسار يسير سيراً ومسيرة وسيرورة؛ والتَّسْيَارُ: تفعال من السير؛ وسَيَّرَهُ من بلده، أي أخرجته وأجله، وسَيَّرْتُ الجُلَّ عن ظهر الدابة: نزعته عنه؛ والسَّيْرَةُ: السنة، والطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسَّيْرَةُ: الهيئة، وسَيَّرَ سيرة: حدث أحاديث الأوائل^(١).

السيرة اصطلاحاً: هي نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي، ويراد به مسيرة حياة إنسان ورسم صورة دقيقة لشخصيته^(٢).

أو هي نوع أدبي يعرف بحياة علم أو مجموعة من الأعلام، أو هي السرد المتابع لدورة حياة شخص وذكر الوقائع التي جرت له أثناء مراحل حياته^(٣).

وقد شاع مفهوم السيرة في الأدب العربي مدلاً على الجنس الأدبي الذي يشتمل على حياة فرد من الأفراد^(٤).

وتنقسم السيرة على قسمين: **الأول: سيرة الآخر:** ويراد بها الجنس الأدبي الذي يكتبه بعض الأفراد عن غيرهم من الناس، سواء أكانوا من الأعلام الذين عاشوا في الزمن الماضي أو في الزمن الحاضر، أو بعبارة أخرى هي بحث يعرض فيه المؤلف حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة ويفصل المنجزات التي حققها، وأدت إلى

الشعراء المولدين. ينظر: **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ١٩٤/٢، **الأعلام**، الزركلي، ٦١/٨-٦٢.

(١) ينظر: **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر. بيروت، ١٩٩٤، مادة سير.

(٢) ينظر: **المعجم الأدبي**، جبور، عبد النور، دار العلم للملايين، لبنان، ط٢، ١٩٨٤، ص١٤٣.

(٣) ينظر: **أساليب التعبير الأدبي**، السعافين إبراهيم، وآخرون، دار الشروق. عمان ١٩٩٧، ص١٩١.

(٤) ينظر: **الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، عبد الدايم، يحيى، ٣.

ذيع شهرته، وأهله لأن يكون موضوع دراسة^(١)، والثاني: **سيرة الذات**: وتعني ترجمة حياة إنسان كما يراها صاحبها^(٢)، أو هي عمل أدبي؛ رواية، أو قصيدة أو مقالة قصد المؤلف فيها بشكل ضمني، أو بشكل صريح رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم حياته^(٣).

وكلا السيرتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ فكلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وأعماله متصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة منها، أو متأثرة بها، فإن السيرة تحقق غاية تاريخية^(٤).

ولكن هذا الارتباط لا يعني أن السيرة والتاريخ متطابقان من كافة النواحي بل إنها تختلف عن التاريخ في عدة أمور منها أن السيرة بقسميها تعتمد على الذاكرة والحفظ ونقل المشاهدة، وبالتالي فقد تسقط بعض الأشياء والأمور وتغفل عن بعضها الآخر، أما التاريخ فيعتمد اعتماداً كلياً على التوثيق في النقولات والإحالات.

أما إن كانت السيرة تفصل الفرد عن مجتمعه وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، وتتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة، فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة^(٥).

ثانياً: الجوانب الاجتماعية والنفسية والشكلية والفكرية

الجوانب الاجتماعية: اهتم المؤلف بسيرة الشعراء المترجم لهم في كتابه وإن كان ليس بطريقة ثرية كما مر سابقاً إنما غالباً كانت عبارات قصيرة موجزة ولكنها تدل على أن المؤلف كان له اهتمام واضح بذكر الأنساب والقبيلة والعائلة إن توفرت له المصادر، ولكنه يحجم عند ورود أحد المشاهير بالحديث عنه لشهرة المترجم له المفردة كهارون الرشيد الخليفة العباسي والأصمعي والكسائي وأمثالهما ومثالها قوله: عن الكسائي العالم المشهور "إمام الناس في النحو والقراءة"^(٦).

وأما حين يترجم لغيرهم من المغمورين فتراه يذكر كل ما استطاع معرفته عن الشاعر

(١) ينظر: فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، الحديدي، عبد اللطيف، دار السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ٦٧.

(٢) ينظر: أدب السيرة الذاتية، شرف، عبد العزيز، ٢٧.

(٣) ينظر: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ، فيليب لوجون، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط١، ص ١٩٩٤، ٢٢.

(٤) ينظر: فن السيرة، عباس، إحسان، ص ١١.

(٥) ينظر: فن السيرة، عباس، إحسان، ص ٧-١١.

(٦) الورقة، ٢٦.

فمثلاً حين يؤرخ لأبو العذافر ورد بن سعد العمي؛ يقول لقيه دعبل^(١)، واسم أبي العذافرورد بن عبد الصمد بصري رشيدي صالح الشعر مشهور، وفي فقرة تالية يتحدث عن انتقاله من البصرة إلى بغداد، ويشير إلى أن عمل والده كان في التناير^(٢).

وإن كان المؤلف لا يذكر في بعض التراجم إلا الاسم واللقب إلا أنه يطيل في بعض التراجم فيذكر النسب متسلسلاً إلى حيث ذكر اسم قبيلة الشاعر؛ ومن ذلك ترجمته لجبر بن خالد بن عقبة بن سلمة بن عمر بن الأكوع الأسلمي، ويضيف أنه من المدينة، وأنه شاعر مجيد، كما يذكر الصفة التي اشتهر بها ألا وهي رواية للأشعار والأخبار روى عنه ابن اسحاق شيئاً كثيراً^(٣).

وكما للمؤلف اهتمام بأنساب الشعراء العرب أيضاً كان له اهتمام بغير العرب فيذكر ذلك في مقدمة التعريف بهم؛ كتعريفه لعبد الله بن المبارك : الفقيه : يكنى أبا عبد الرحمن، خراساني مروزي، شاعر، له الأبيات بعد الأبيات في الزهد وذم الدنيا، دون غير هذا الصنف من الشعر، وكان يأخذ شعره من الأخبار التي يرويها^(٤).

ومن حيث مهن المترجم لهم فمن الجدير بالذكر أن المؤلف ذكر أحياناً مهنة بعض الشعراء الذين ترجم لهم كهارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور، والفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي والي بلخ وطخارستان، من كور خراسان^(٥)، ويذكر في موضع آخر مهنة الشاعر "بريه المصري إضافة لكونه شاعر محسن فهو كان في جند سليمان بن غالب ممن قدموا مصر وأقام بها^(٦).

وبالنسبة للعلاقات الاجتماعية الواردة في كتاب الورقة فهي تظهر بشكل إجمالي بعض علاقات الشعراء مع غيرهم من فئات المجتمع كعلاقتهم بالحكام أو العلماء أو مع غيرهم من الشعراء سواء أكانت تلك العلاقة إيجابية تظهر من خلال المدح والافتخار بالآخر والرثاء وذكر

(١) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي ١٤٨ - ٢٤٦ هـ . شاعر هجاء، أصله من الكوفة، أقام ببغداد. في شعره جودة، كان صديق البحري وصنف كتاباً في طبقات الشعراء. ينظر: *ديوان دعبل الخزاعي* ص ١٩٠.

(٢) ينظر: الورقة، ٣.

(٣) ينظر: الورقة، ٦.

(٤) ينظر: الورقة، ١٥.

(٥) ينظر: الورقة، ٣٨.

(٦) ينظر: الورقة، ص ١٠٠.

المناقب، أم سلبية تظهر جلية واضحة في أبيات الهجاء التي تكثر في كتاب الورقة وجلها من الهجاء الفاحش البذيء.

ومن أمثلتها ترجمته لمحمد بن معروف يختصر بعبارة وجيزة علاقات الشعراء ببعض البعض فيقول: وكان ابن أبي الحكيم، وابن معروف، وابن الرومي، ومثقال، والباخرزي، والفتال، وأحمد بن صالح الحرون، وأبو بكر بن بوزان الخبازة، وأبو يوسف الدقاق الضرير، في لف من الشعراء قاطنين بغداد في وقت انتقال السلطان عنها إلى " سر من رأى" ، وكانوا يتهاجون ويتهاترون، ويذكر أن مثال كان أحطهم في المهاجة^(١).

ومن حيث الجوانب النفسية السيئة فقد أورد بعض العبارات التي تدل على وضاعة شاعر مترجم له أو نفاقه كقوله عن القصافي الذي "كان لا يمدح إلا وضيعاً"^(٢)، وقوله عن الخاركي : شاعر خبيث سفيه ماجن، كما وصف الشاعر محمد بن حازم الباهلي المشهور بالنفاق وهو الذي كان يظهر القناعة، ويكثر القول فيها وهو أسأل الخلق^(٣).

وقال عن زرزق الرفاء أنه يكنى أبا الخطاب بغدادى شاعر مليح الشعر قليله، وكان ماجناً .^(٤)

ومن حيث الجوانب الشكلية فقد اقتصر ذكر الجوانب الشكلية في كتاب الورقة للمترجم لهم على عدة إشارات مختصرة لم تتعداها إلى ما سواها من الجوانب الخلقية، إذ لم يذكر المؤلف تلك الجوانب إلا مرات معدودة، فيذكر عن إبراهيم بن المهدي أن صوته جميل وأنه أحسن خلق الله غناء، وله شعر رقيق حسن، وكان يغني في أشعاره^(٥).

كما يصف الشاعر البطين بن أمية البجلي أبو الوليد بقوله: أن الفيل دون البطين في العظم، دلالة على عظم جسده وضخامته، أما غير تلك الجوانب فقد اقتصر على ذكر ثلاث جوانب كالعور والعمى، إضافة إلى البرص، ومثاله قول المؤلف عن الخاركي وكان أعور

(١) ينظر: الورقة، ١٢٠.

(٢) ينظر: الورقة، ٨.

(٣) ينظر: الورقة، ١٠٩.

(٤) ينظر: الورقة، ٣٩.

(٥) ينظر: الورقة، ٢٠.

بصري أزدي^(١).

ومن الجدير بالذكر أن كتاب الورقة يفقد إلى الإشارة إلى أفكار أو معتقدات أو مذاهب المترجم لهم، إذ لا يشير إلى الجانب الفكري أو العقدي لمن ورد لهم ترجمة في الكتاب، ولكنه لا يخلو من بعض الإشارات التي أوردتها مصنف كتاب الورقة كإشارة المؤلف إلى فسق المخرق ومجونه في شهر رمضان واستنقاله له^(٢):

ثَقُلَ الشَّهْرُ عَلَيْنَا ثَقُلَ اللهُ عَلَيْنَا

وأكثر الإشارات وضوحاً ما ذكره الشاعر بنفسه ونقله المؤلف نقلاً دقيقاً كقول الفضل بن هاشم السفية الخليل إذ يقول عن نفسه^(٣):

أَنَا فَضْلُ بِنِ هَاشِمِ بْنِ جَدِيرٍ لَمْ أَقْلُ مُذْ خُلِقْتُ كَلِمَةَ خَيْرٍ

وختاماً فإن المؤلف وإن كان اهتم في تراجمه بالنسب والقبيلة والعائلة والبيئة والانتقال من مدينة لأخرى وغيرها مما يثري الكتاب، بنسب متفاوتة إلا أن كتابه بالمجمل يفتقر إلى الحديث بإسهاب عن الجوانب الاجتماعية والفكرية والنفسية والشكلية لمن ترجم لهم في طيات الكتاب، والظاهر أن المؤلف لم يُعن بذلك بل كانت عنايته الأساسية منصرفة إلى ذكر أشعارهم ومناسبتهم وغرضها من مديح وفخر وغيرها من الأغراض التي طرقها شعراء الورقة ونقلها عنهم المؤلف.

المبحث الثاني

الرؤى الفكرية

أولاً: الفخر: إن القارئ لشعراء كتاب الورقة يلحظ أن لهم أبيات عديدة تفيض افتخاراً سواء أكان فخراً بالنفس والاعتداء بها أو الافتخار بأفعال قومهم، فيفتخرون تارة بالشجاعة والإقدام، وتارة بالكرم والوجود، وغير تلك المفاخر على منوال أقرانهم ومن سبقهم من الشعراء.

ومن أمثله قول أحمد بن محمد بن فضالة الشامي مفتخراً بـ أبي حوى^(٤):

(١) ينظر: الورقة، ٥٩.

(٢) ينظر: الورقة، ١٠٥.

(٣) ينظر: الورقة، ١٢٨.

(٤) ينظر: الورقة، ص ٩٤.

قد علمت سبكيك في حربها
بأنه يضرب بالسيف
ويطعن القرن غداة الوغي
ويحضر الجفنة للضيف
عنت عمرو بن حوي ولم
أبغ سوى القصد بلا حيف

يتغنى الشاعر بفخر بمآثر ممدوحه، وصفاته التي تعكس أصالة أفعاله، وحزمه في الملمات، وشجاعته في ساحات الوغي، ونجد هذا في قوله: (يضرب بالسيف) و(يطعن .. غداة الوغي)؛ لعلو همته، واهتمامه بخوض المعارك، كما يزهو الشاعر ويفتخر بجود ممدوحه، والإشادة بكرمه، ورفعة قدره، فأيراده لكلمات (يحضر، يملأ، يؤمن) شكل نسقاً سردياً يشد انتباه المخاطب لما يريد الشاعر أن يبرزه ويؤكد من المعاني الفخرية التي فاقت بها القصيدة.

ثانياً: المديح: يتصدر شعر المديح الأغراض الشعرية عند العرب؛ وذلك لأنه يعكس المثل العليا التي دأب عليها الشعراء العرب، والإشادة بمحاسن الممدوح، فقد مدح الشعراء الملوك، والأمراء، وذوي الشأن الرفيع؛ تقديرًا لجميل محاسنهم، وصفاتهم، وشمائهم، وعُزف المديح بأنه: "تعداد لجميل المزايا، ووصف الشمائ الكريمة، وإظهار التقدير العظيم الذي يکنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا، وعرفوا بمثل هاتيك الشمائ"^(١).

ومن أمثله: قول أبو الرميح حبيب بن شونب في السري بن عبد الله الهاشمي يمدحه^(٢):

فك السري عن الندى أغلاله
فجرى وكان مكلبلا مغلولا
وتعاقد العقد الوثيق وأشهدا
من كل قوم مسلمين عدولا
ووفى الندى لك بالذي عاقدته
ووفى السري فما يريد بديلا

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات أنّ ممدوحه هو من فك أغلال وقيود الكرم بعد أن كانت مكبلّة مغلولة مسجونة، وقبل أن يطلق سراح الكرم والجود تعاهدا ألا يفترقا ولا يختلفا ويتغيرا، وقد وفى الكرم بما تعهد به للممدوح الذي شبهه الشاعر بالمطر والغيث والندى المحبوس وأتى السري فأطلقه وأرسله دلالة

(١) ينظر: فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقّة، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦٢ م،

(٢) ينظر: الورقة، ٧٨.

على الكرم البالغ والجد بلا حدود.

ثانياً: الشوق والحنين: إن غرض الشوق والحنين إلى الوطن لا يتمثل إلا بالرحيل وتباعد الديار، وهو على الغالب لا يحدث فيه تلاق، فيكون فيه الهم كبيراً والحزن شديداً^(١)، وهذا الغرض الشعري النبيل يتصف بالعاطفة الصادقة التي تفيض عذوبة وحنيناً إلى الديار والأهل والخلان والصحب والذكريات الجميلة.

ومن أمثله قول محمد بن أمية بن أبي أمية الذي أجبرته قسوة الحياة على الرحيل والابتعاد عن أرضه [الخفيف]^(٢):

يَا فِرَاقاً أَتَى بِإِثْرِ فِرَاقِ وَإِتِّفَاقاً جَرَى بِغَيْرِ إِتِّفَاقِ
حِينَ حُطَّتْ رِكَابُنَا لِإِيَابِ زَمٍّ مِنْهُ رِحَالُهُ لِإِنِّطِلاقِ
إِنَّ نَفْسِي بِالشَّامِ إِذْ أَنْتَ فِيهَا لَيْسَ نَفْسِي نَفْسِي الَّتِي بِالعِرَاقِ
أَشْتَهِي أَنْ تَرَى فُوَادِي فَتَدْرِي كَيْفَ صَبْرِي عَنكُمْ وَكَيْفَ إِشْتِياقِ

حيث جسد الشاعر معنى الفراق والرحيل، فيصف لنا يوم رحيله، ومشاعره في ذلك اليوم، والتي امتلأت كمدًا، وكآبة يصور الشاعر مرارة البين والفراق في شعره، وكيف ولد ذلك الرحيل في قلبه لوعةً ونار اشتياق لا تنطفئ، يتمنى على محبوبته لو تراها، كما يعبر الشاعر عن عميق شعوره بالحزن على فراق الوطن (الشام) والأحبة وأحبته فيه، وما خلف ذلك من حزن وألم وما تكراره للفظ "فراقاً.. فراق"، ووصفه للفراق الذي حل كأنه جرى باتفاق مع القدر، وكيف ثقل عليه هذا الفراق حتى لكان روحه وقلبه في مكان وجسده في مكان آخر، ووقع الحزن في نفسه، وعدم الاصطبار على فراق الوطن والمحبوبة، وهو ما يحس به المتلقي والسامع بوضوح، فيرافق الشاعر في حزنه متخيلاً فقدان الوطن، والأحبة، وما ي خلف هذا الفراق من لوعة، وأسى.

رابعاً: الهجاء: كان هجاء شعراء الورقة هجاءً مرًا، وقد جاء الهجاء تعبيراً عن الفكرة التي يريد الشاعر إيصالها بأوجع عبارة وأقذع لفظة، ومنها قول يحيى بن المبارك الزبيدي في

(١) ينظر: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم، ١٧٢-١٧٣.

(٢) ينظر: الورقة، ص ٥٠.

هجاء الأصمعي [المتقارب]^(١):

ومن أنت هل أنت إلا امرؤ
وحسبك لؤم قبيلى بها
فكيف لمن كان ذا دعوة
وكفه نسبه شائلة

إذا صحَّ أصلك من باهله
لمن هي في كفه حاصله

فالشاعر يهجو الأصمعي بقومه أولاً وبعده مثالب متتالية، فيخاطب الشاعر مهجوه أنه من قبيلة هي الأوضع نسباً هذا إن كان صحيحاً نسبة المهجو إليهم، فهو وهم بلا أصل ولا نسب وهم أهل لؤم وضعة، فجمع الشاعر هنا الهجاء الشخصي مع القبلي حتى يزيد في إيلاام المهجو.

خامساً: الحكمة: الحكمة موضوع من مواضيع الشعر العربي منذ القدم التي طرقها الكثير من الشعراء، وكان الشاعر يزين بها قصائده، فقد تأمل الشعراء العرب في قضايا الحياة والناس، وأوغلوا في تفاصيلها، فالتمسوا فيها العبر والعظات، وفكروا في أمر الدنيا، فأثمر ذلك عن حكمة صاغوها في عبارة نثرية، أو بيت شعر أنيق^(٢).

وللحكمة نصيب في كتاب الورقة ومن أمثله قول معبد بن طوق العنبري [الكامل]^(٣):

تلقى الفتى حذر المنية هارباً
نصبت حباؤها له من حوله
إن امرءاً أمسى أبوه وأمه
تحت التراب لحقه يتفكر
تُعطي صحتك التي أمليتها
فترى الذي فيها إذا ما تُنشر
حسناتها محسوبة قد أُحصيت
والسبيات، فأى ذلك أكثر؟

منها وقد حذرت به لا يشعر
فإذا أتاه يومه لا ينظر
تحسب التراب لحقه يتفكر
فترى الذي فيها إذا ما تُنشر

تمثل المقطوعة السابقة خلاصة تجارب الخلق جميعهم فالشاعر ينصح كل حذر من الموت أنه لا بد آت، فالهروب لا يجدي وأن هذا الدنيا ما هي إلا كفخ نصب ليقع المرء به، فيظل مخدوعاً بها مقبلاً عليها ناهلاً لذاتها حارصاً على جاهها وسلطانها ونعيمها الزائف الزائل حتى يفاجئه الموت بلا

(١) ينظر: الورقة، ٣٠.

(٢) ينظر: الأصول الفنية في الشعر الجاهلي، سعد شلبي، ٣٨٠.

(٣) ينظر: الورقة، ص ١٠٣.

انتظار.

ويكمل الشاعر أن المرء يكفيه واعظ أن يكون أبواه تحت الثرى فهذا كفيل بأن يتفكر ويتدبر حال هذه الدنيا فموت الأحبة خير واعظ ولا أحب إلى المرء من والديه، فما هذه الحياة إلى دار عبور إلى دار بقاء إما شقاء أبدي أو رشاد أبدي، فالصحائف التي أملاها المرؤ في الحياة سيرها فإن كانت خيراً فخير وإن شراً فشر، فكل ما عمله المرؤ في حياته قد تم تدوينه وإحصائه حسناته وسيئاته، ويتساءل الشاعر معقّباً متعجباً أكثر من ذلك واعظ للمرء بعد كل هذا.

سادساً: الرثاء: لكل شاعر مذهبه في الرثاء، فمنهم من رثى الأهل والولد والأحبة ومنهم من رثى الأمراء والملوك وأصحاب الشأن والمعالي فأتى ذلك الرثاء أشبه ما يكون بالمديح، والذي انساب من ألسنتهم فياضاً بالعاطفة مبرزاً الصفات العظيمة التي يتحلى بها هؤلاء الراحلون، مع ما يشوب تلك الأشعار من شجن، وحزن، وأسى على فراق الراحلين.

وكان أكثر شعر الرثاء حرقة، ولوعة، وأسى ومما قيل في رثاء الأهل قول أبو الهيثم يرثي أخاه [الطويل]^(١):

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا
فإن بها ما يُدرك الطالبُ الوترا
ولسنا كمن يبكي أخاه بعبرةٍ
يُعصرها من ماء مُقلته عصرا
وإننا أناسٌ ما تفيضُ دموعنا
على هالكٍ منا وإنْ قصم الظهر
ولكنني أشفي الفؤادَ بغارةٍ
ألهبُ في قُطري كئابها جمرا

وفي الأبيات يصور الشاعر حزنه ومدى حزنه العميق بعد موت أخيه وما رثاؤه وبكاؤه على أخيه من الضعف والهوان فهم من قوم لا تفيض دموعهم من ذلة وضعف وخور إنما يبكون موتاهم تارة لتسفي حرقة القلب على غيابهم وتارة لتلهب مشاعرهم فيرثونهم الرثاء الذي يليق بهم وبذكرهم .

وخلاصة المبحث أن كتاب الورقة يعج بالأغراض الشعرية التي طرقتها من سبقهم من الشعراء ولا يسعنا أن نغفل في ختام هذا المبحث بقية الأغراض كالغزل^(٢) والوصف^(٣) والخمريات^(٤) وأمثلتها كثيرة.

(١) ينظر: الورقة، ٢٥.

(٢) ينظر: الورقة، ص ١٩.

(٣) ينظر: الورقة، ١٢٣.

(٤) ينظر: الورقة، ٢٤.

المبحث الثالث الدراسة الفنية

أولاً: الجوانب الإيقاعية في شعر كتاب الورقة

نال الجانب الإيقاعي الصوتي عناية كبيرة في شعر الورقة، وتمثل ذلك الاهتمام بالإيقاع إضافة للوزن والقافية والروي أيضاً كان الاهتمام بيناً من حيث ورود الجناس، والتصريح ورد الأعجاز على الصدور، وغيرها.

الوزن والقافية والروي:

يتضح من خلال التدقيق في الشعر الوارد في كتاب الورقة لابن الجراح، أن كل من ترجم لهم من الشعراء ظلوا ملتزمين بالبحور والأوزان العربية في أشعارهم، واعتبروها ركناً لازماً من أركان القصيدة، وشرطاً مهماً من شروط تحقيق الأثر المطلوب على سمع المتلقي وبصره.

فالحفاظ على العروض العربي القديم السمة الغالبة عند الشعراء المترجم لهم، وكان ميلهم إلى توظيف البحور الطويلة مرده ليس فقط الالتزام بنهج من سبقهم في هذا الفن من قداماء الشعراء، وإنما أيضاً لما لتلك البحور من إمكانات تعبيرية؛ نظراً لتعدد مقاطعها، وكثرة أجزائها، إضافة إلى أن تلك البحور لها القدرة على إبراز موهبة الشاعر الفذة، ومجاراتها لمن سبقوه من شعراء الجاهلية والمخضرمين، وقد شاع البحر الطويل أكثر من غيره في كتاب الورقة، فكان الأكثر استخداماً^(١)، ومن أمثله قول الشاعر عبد الجبار بن سعيد وقيل لغيره [الطويل]^(٢):

وَفَارُقْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي مِنْ أَنْتَأَى وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَيَّ كِرَامٌ
فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى هَجْرِ الْحَبِيبِ تَنَامُ

وهذا البحر هو الأكثر استعمالاً سواء في كتاب الورقة أو في كتب التراث الأدبي فهو الأكثر قدرة على استيعاب العديد من قصائد الرثاء والمديح والفخر وغيرها من الأغراض^(٣).

أما في المرتبة الثانية فقد أتى بحر (الكامل) وقد كان له حضور ظاهر في كتاب الورقة وتلي تلك البحور بحر الوافر والبسيط الذين شاع استخدامهما في كتاب الورقة من حيث الترتيب بعد الطويل والكامل.

(١) ينظر: الورقة، ابن الجراح، فهرس القوافي ١٥٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: الورقة، ابن الجراح، ٤٦.

(٣) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب، د. عبد الله الطيب المجذوب. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر -

إن طغيان البحور الطويلة التي تتسم بالاتساع والرحابة على كتاب الورقة لا يعني إغفال الشعراء المترجم لهم البحور الخفيفة والمجزوءة، وإن كان حضور تلك البحور أقل مساحة مقارنة بالبحور الطويلة، وقد لجأ الشعراء لهذه البحور الخفيفة، ومنها البحر المتقارب كونه بحراً سريع الإيقاع يكتفى فيه بالعبارة المختصرة، ويلجأ إليه الشاعر لئلا يضطر للتفصيل، إضافة إلى سهولته، وعذوبته، ومن أمثله قول عبد الله بن المبارك [المتقارب] ^(١):

احْفَظْ لِسَانَكَ إِنْ اللِّسَانَ حَرِيصٌ عَلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وَإِنَّ اللِّسَانَ يَرِيحُ الْفُؤَادَ دَلِيلَ الرَّجَالِ عَلَى عَقْلِهِ

وإضافة للمتقارب استخدم شعراء الورقة البحور المجزوءة التي سمحت للشعراء بتقليص النفس الزائد في البحور، وجعلها منسجمة مع ما يتطلبه التعبير في بعض المواضيع وفق ما يمليه الموقف الذي يصفه الشاعر، ومنها استخدام الشاعر محمد بن أبي أمية لبحر الرمل ذو السلاسة والرقّة في التعبير، والجدير بالذكر أن أكثر البحور استخداماً كان الطويل وقد ورد ٥٩ مرة، وأقلها استخداماً بحر المنسرح والمجتث، فكل منهما استخدم خمس مرات في كتاب الورقة.

- **القافية:** سميت القافية بهذا الاسم "لأنها تقفو أبيات القصيدة بالإيقاع"^(٢)، فالقافية مجموعة أصوات في آخر البيت، وهي كالسجع الذي يترقبه المتلقي في مسافات منتظمة بإصغائه، وأقل عدد يمكن، بل يجب تكراره من هذه المجموعة من أصوات القافية هو حرف (الروي)، وبه تعرف القصيدة من همزية، وتائية، ورائية^(٣).

وقوافي شعر كتاب الورقة هي التي أعطت القصائد بُعداً من التناسق والتماثل، وأسبلت عليها طابع الانتظام النفسي، والموسيقى، والزمني، كما أن لها أهمية بالغة هي التطريب، كالإعادة، أو ما يشبه إعادة الأصوات من الناحية الجمالية، وتنظيم الوزن الذي يقوم عليه البيت الشعري من خلال ضرباتها المنتظمة في القصيدة فتكون المهمة الأساسية لها، ومن خلال ذلك نستطيع القول بأن القافية: "تعد قوام الشعر القديم، وملاكه، وأظهر سماته، وأشرف أجزائه"^(٤).

(١) ينظر: الورقة، ابن الجراح، ١٧.

(٢) ينظر: النقد الأدبي، داود سلوم، بغداد، ١٩٦٧م، ٢٢٢/١.

(٣) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية، صفاء خلوصي، منشورات مكتبة المثني ببغداد، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ٢١٥-٢٢٠.

(٤) ينظر: الشعراء وإنشاد الشعر، علي الجندي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ١١٣، وينظر: مفهوم الشعر دراسة في

- الروي: هو الحرف الذي تبني عليه القصيدة، ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد^(١). ومن خلال قراءة قصائد كتاب الورقة نجد أن الشعراء عمدوا إلى استخدام الروي السهل الميسر، كأحرف (اللام، والميم، والنون، والدال، والقاف، والكاف)، فقد كان الميل إليها أكثر من غيرها؛ لما فيها من قدرة على إحداث أنغام صوتية وانفعالية مؤثرة في نفس المتلقي، وهي ما يطلق عليها القوافي الذلل^(٢)، وأمثلتها كثيرة منها قول الشاعر نهشل بن حَرَى [الطويل]^(٣):

جَزَى اللهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ بَنَى الصَّلَاتِ إِخْوَانَ السَّمَاخَةِ وَالْمَجْدِ
أَتَانِي وَأَهْلِي بِالْعِرَاقِ نَدَاهُمْ كَمَا صَابَ غَيْثٌ مِنْ تَهَامَةَ فِي نَجْدِ

إذن فلا يختلف شعراء الورقة الذين عدوا محدثين نسبياً عن سبقهم في هذا الفن، فقد مالوا إلى توظيف القوافي الذلل؛ وذلك لكثرة مفرداتها؛ مما يسعف في اختيار القوافي وتنويعها، وإطالة القصائد وتجويدها.

إن شعراء الورقة التزموا بالمدرسة التقليدية القديمة وحافظوا على تقاليد الشعر العربي من حيث استخدامهم لحروف الروي والقافية المتبعة بشكلها القديم، وهذا يدل على أنهم امتداد لمدرسة الشعر التقليدية في الجاهلية والمخضرمين التي رسخت مفهوم وحدة القافية، ووحدة الوزن، ووحدة الروي، وهو دلالة أيضاً على سلامة طبعهم، وتمكنهم من فنون الشعر.

- الجناس: الجناس فنٌّ من الفنون الأصيلة في اللغة العربية، فعرف في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي الشعر العربي قبل الإسلام، وفي العصور التالية، مما استشهد بكثير منه في كتب البلاغة والنقد^(٤).

وقد اتفق علماء البلاغة على تقسيم الجناس على قسمين هما: الجناس التام، والجناس الناقص، وذكروا تحت كل قسم منهما أقساماً وفروعاً كثيرة.

التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ٤٠٧.

- (١) ينظر: كتاب القوافي، ١٠.
- (٢) القوافي الذلل هي (م، ل، ر، د، ب-أ-ع-ج-ي-ت-ف-س-ح-ن-ق-ك)، ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ٤٦/١.
- (٣) ينظر: الورقة، ابن الجراح، ٤٩.
- (٤) ينظر: الوساطة بن المتنبي وخصومه، القاضي محمد علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، (د.ت)، ٤١-٧٢.

ومن أمثلة الجناس ونوعه الجناس المستوفي قول الشاعر^(١):

وسميئُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ
تَقَاءْتُ لَوْ يُغْنِي التَّفَاؤُلُ بِاسْمِهِ وَمَا خِلْتُ قَلْبًا قَبْلَ ذَاكَ يَفِيْلُ

فالجناس في البيت الأول بين (يحيى) الاسم و(يحييا) الفعل، وهما متشابهان لفظاً مختلفان معنى. - **الطباق**: الطباق يعني الجمع بين الشيء وضده، فيكون هذا التضاد عاملاً لإبراز صور التناقض، لكي يتضح المعنى في النص بالشكل الأنسب، وغالبًا ما يساعد الطباق الشعراء على إبراز الموقف والشعور الذي يريد الشاعر إيصاله.

وبالحديث عن شعر كتاب الورقة فمن الملاحظ أنه يتسم بكثرة المحسنات البديعية التي تزينه، وتجعله أكثر تأثيرًا في النفوس والألباب، ومنها الطباق؛ ومن نماذجه قول الشاعر البطين^(٢):

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذي الجودِ طاهرِ بن الحسينِ
ما يبالي المأمونُ أيده اللهُ إذا كنتمـا له بـاقينِ
أنت غربٌ وذاك شرقٌ مقيماً أي فتقِ أتى من الجانبين

ففي البيت السابق ورد الطباق ونوعه طباق إيجاب، وهو أن يأتي الشاعر بالكلمة وعكسها حتى يبرز المعنى ويوضحه، فنجد في هذه الأبيات وجود كلمات متضادة، فكلمتا "غرب"، و"شرق" بينهما تضاد يبرز المعنى، ألا وهو أنه على الرغم من اتساع المسافة بين الشرق والغرب إلا أن هذه المسافة مأمونة فلا شرح بين الجهتين فكلاهما مصانان وهذا ما أفاد مديح الشاعر لممدوحه طاهر بن الحسين.

- **التصريع**: التصريع في الشعر: "تصريع الشعر هو تقفية المصراع الأول، مأخوذ من مصراع الباب، وقيل: تصريع البيت من الشعر جعل عروضه كضربه"^(٣).

وعرفه الخفاجي بقوله: "التصريع يجري مجرى القافية، وليس ثمة فرق بينهما، إلا أنه في آخر النصف الأول من البيت، والقافية في آخر النصف الثاني منه"^(٤)، ومن أمثله في

(١) ينظر: الورقة، ابن الجراح، ٨٨.

(٢) ينظر: الورقة، ٣٢.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، اعتنى به: عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

(٤) ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر،

شعر الورقة قول محمد بن أمية بن أبي أمية الذي أجبرته قسوة الحياة على الرحيل والابتعاد عن أرضه [الخفيف]^(١):

يَا فِرَاقاً أَتَى بِإِثْرِ فِرَاقِ وَاتِّفَاقاً جَرَى بِغَيْرِ اتِّفَاقِ
إِنَّ نَفْسِي بِالشَّامِ إِذْ أَنْتِ فِيهَا لَيْسَ نَفْسِي نَفْسِي الَّتِي بِالْعِرَاقِ
أَشْتَهِي أَنْ تَرَى فُؤَادِي فَتَدْرِي كَيْفَ صَبْرِي عَنْكُمْ وَكَيْفَ إِشْتِيَاقِ

وفي هذه الأبيات يصور قسوة الحياة التي حملته كرهاً على الرحيل والبعد عن وطنه وأهله واستحضر الشاعر في البيت الأول التصريح بين كلمتي فراق . اتفاق، وأتى مستقلاً في المصراع الأول، والتصريح المستقل مصراعه الأول "هو أن يكون مستقلاً بنفسه، غير محتاج إلى الذي يليه، فإذا جاء الذي يليه، كان مرتبطاً به"^(٢).

ثانياً: الأساليب البيانية في شعر الورقة

- التشبيه: يعدّ التشبيه أحد أهم الأساليب الشعرية التي تهدف إلى إيضاح المعنى وإظهاره، وقد عرفها ابن رشيق بقوله: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"^(٣).

ويكثر في الورقة التشبيه البليغ وهو ما حذف منه وجه الشبه والأداة، ويوهم اتحاد الطرفين وعدم تقاضلها، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، فتتحقق المبالغة في قوة التشبيه^(٤)، وليس كل تشبيه بمفهوم البلاغيين تشبيهاً بليغاً، وإنما يتحدّد ذلك من خلال النص، وتبقى فضيلة التشبيه قائمة في قدرته على "إخراج الخفي إلى الجلي وإدناء البعيد من القريب"، ومن أمثله قول الشاعر^(٥):

خُزَيْمَةُ خَيْرُ بَنِي خِزَامٍ وَخِزَامُ خَيْرُ بَنِي دَارِمٍ

١٩٦٩م، ٢٨٣.

(١) ينظر: الورقة، ص ٥٠.

(٢) ينظر: المثل السائر، ١/٣٣٩.

(٣) ينظر: العمدة ابن رشيق، ١/٤٦٨.

(٤) ينظر: علوم البلاغة (البيان - البديع - المعاني)، أحمد مصطفى مراغي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١،

٢٠٠٠م، ٢٨٢.

(٥) ينظر: الورقة، ٢٢.

ودارمُ خيرُ تمِيمٍ ومِـا
ومِثْلُ تمِيمٍ في بني آدمِ
ولا ألوْتُ الغُرَّ من هاشمٍ
وهم سُيوفُ لبني هاشم

يمدح الشاعر خزيمة بن خازم النهشي بأنه من خير الأنساب وأعلاها وأرفعها بين القبائل وأنه وقبيلته كالسيوف لبني هاشم فتشبيهه الشاعر لخزيمه وقومه أنهم سيوف لبني هاشم دلالة على أنهم المعتمد عليهم في الحروب والخطوب والنوازل فهو تشبيهه بليغ مجمل، فقد ذكر المشبه والمشبه به، ولكنه لم يذكر على وجه التحديد وجه الشبه.

- **الاستعارة:** عرفها الجرجاني بقوله: "إن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً، تدل الشواهد على أنه اختص به حيث وضع، ثم يستعمله الشاعر، أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية"^(١).
ومن أمثلة الاستعارة قول الشاعر^(٢):

مرحباً مرحباً بمن كفه البحرُ
إذا فاض مزبد الرجوين

استعار الشاعر لفظة البحر دلالة على جود الممدوح، فانتساع البحر وترامي مساحته ساعدت الشاعر في إظهار كرم الممدوح وبذله ببراعة ووجزالة دون تكلف، كما أن انحياز البحر على سعته في كف الإنسان على صغرها دلالة أن كف الممدوح أوسع من البحار دلالة الكرم الذي لا يشبهه كرم ولا يتصف به أحد.

والخلاصة فالاستعارة سواء المكنية، أو التصريحية استعملت بوضوح عند شعراء الورقة، ووظفوها في قصائدهم، وطوروها في صور فيه من الإبداع والخيال ما ساعد على توضيح دلالة المعنى المراد إيصاله للمتلقي.

- **الكناية:** "الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينقل من المذكور إلى المتروك"^(٣)، وقد تأتي الكناية عن الصفة: "وهو أن تذكر الموصوف، وتنسب له صفة، ولكنك لا تريد هذه الصفة، وإنما تريد لازمها"^(٤)، أو عن الموصوف: "^(١)".

(١) ينظر: أسرار البلاغة، الجرجاني، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثانية. مكتبة القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٢٣.

(٢) ينظر: الورقة، ٣٢.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم، ٥١٢.

(٤) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٤٥.

وقد ورد التصوير الكنائي في كتاب الورقة، والذي لا يقل أهمية عن تصويرات الشعراء التشبيهية والاستعارية، إذ وُظفت في الشعر بلغة قوية، ومفردات جزلة تصل إلى سمع المتلقي، وتساعده على فهم المعنى المراد، ومن أمثلتها قول الشاعرة عنان الناطفية [الخفيف] (٢):

مُت إذا شئت قد ذكرك في الشعر وجرّ أذيالَ ثوبك كبراً

في البيت كنت الشاعرة عن التيه والفخر والغرور بعبارة (جرّ أذيالَ ثوبك) وهذا التعبير معروف مشهور يراد به الفخر والخيلاء والغرور، والبيت من قصيدة تهجو فيها عنان الناطفية أبا نواس مخاطبةً إياه بقولها: لمت في أي وقت تستطيعه إن الآن أم بعد سنين فلا فرق وسيان موتك متى كان فقد نلت الخلود في الشعر، فشعري منحك منحك الخلود بقصيدتي هذه، هذا الخلود والذكر في الدنيا من هجائي فكيف الحال بك لو امتدحتك بقصائدي.

ثالثاً: الوحدات اللغوية

- الأمر: صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل، من جهة الغير على جهة الاستعلاء (٣). وقد خرج الأمر في شعر الورقة إلى أغراض مجازية عديدة منها: غرض الالتماس والتحسر فقد يأتي الالتماس كغرض شعري مرتبطاً بالتحسر والأسى والتجعج كقول الشاعر عمرو بن حوى السكسكي (٤):

أيا كوكباً لا يُمسك الليل غيره بربك لا تُخبر علينا الكواكب

ويا قمرَ الليل المُفرق بيننا تأخر عن الإقياء بالله جانباً

في البيت الأول أورد الشاعر أسلوب من أساليب الإنشاء الطلبي ألا وهو أسلوب النهي وذلك في قوله: (لا تخبر) مخاطباً الكوكب ناهياً له ألا يشي لغيره من الكواكب بما دار بينه وبين الحبيبة في هذه الليلة.

ثم أتبعه الشاعر في البيت الثاني بأسلوب الأمر الذي يعتمد صيغة الأمر (تأخر) لا على سبيل الاستعلاء إنما التماساً من القمر الذي إن غاب فرق بينه وبين حبيبته أن يتأخر

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ١٩٠.

(٢) ينظر: الورقة، ٦٤.

(٣) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق علوم الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، طبع بمطبعة المقتطف

بمصر، ١٩١٤م، ٣/٢٨١.

(٤) ينظر: الورقة، ٩٤.

بذهابه حتى يحظى الشاعر بأطول وقت مع محبوبته التي إن طل الصباح يخشى أن يفترق عنها، ويلاحظ في البيتين عاطفة جياشه تجعل الشاعر يستجدي النجوم والقمر أن لا يغيبا فغيابهما إيذان بالهجر والفرقة التي يخشاها قلب الشاعر أيما خشية.

- **النهى:** النهي من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تخرج عن معناها الحقيقي إلى معانٍ مجازيةٍ وقد قسمها علماء البلاغة إلى قسمين:

النهى الحقيقي: وهو ما كان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام^(١).

النهى المجازي: وهو الذي ينتفي فيه شرط الاستعلاء والإلزام كالدعاء والالتماس والنصح والإرشاد وغيرها^(٢).

وقد خرج النهي في شعر كتاب الورقة إلى عدة معانٍ مجازية منها غرض الرجاء والاستعطاف والتأسي قول الشاعر أبي الضلع السندي^(٣):

يا نفس صبرا لا تهلكي ياسا قد فارق الناس قبلك الناسا
صبرا جميلا فلست أول من أورثه الظاعنون وسواسا

لجأ الشاعر في الشطر الأول إلى نصح نفسه مخاطباً إياها عبر الأداة (لا الناهية) في (لا تهلكي) على سبيل الرجاء مستعظفاً إياها أن لا ترد ما ورد غيرها من المهالك بسبب الحزن على مفارقة الخلان فقبل نفسه كثيرون فارقوا وأورثوا مفارقيهم الحزن والأسى داعياً نفسه إلى التجمل والتحلي بالصبر الجميل فذلك أجدر لها وأحوط لسلامتها.

- **الاستفهام:** ينقسم الاستفهام على قسمين: ١- استفهام حقيقي: أي معناه طلب الفهم كما أسلفنا. ٢- استفهام مجازي: حيث يخرج عن معانيه الأصلية إلى معانٍ أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال والمعاني المجازية للاستفهام كثيرة لا تحصى، يقول القزويني: «ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»^(٤).

وتنقسم أدوات الاستفهام على قسمين: الأول: حرفان وهما: الهمزة وهل.

(١) ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ١/ ٨٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨٤.

(٣) ينظر: الورقة، ٩٨.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ١/ ٢٣٤.

والثاني: أسماء. وهي: من وما وكيف و أين ومتى وأنى وأيان وكم وأي.^(١)

وقد وردت أساليب الاستفهام عند شعراء الورقة بكثرة فهم طوعوها كيف شاؤوا وحملوها من المعاني ما أرادوا وجاءت لأغراض بلاغية كثيرة كالتقرير والتعجب والتفجع والتحسر والأسف وغيرها من أغراض، ومن أمثلتها في كتاب الورقة قول الشاعر عمرو بن أحمد بن بديل^(٢):

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْبَيْنُ يَصْدَعُ قَلْبَهُ لَمْ يَدِرْ، كَيْفَ تَقْتَتُ الْأَكْبَادُ؟

في البيت خرج الاستفهام فيه إلى غرض التعجب والتحسر والأسى، فالشاعر يتعجب ممن يشتكى الآلام والأوجاع وهو لم يكابد فراق الأحبة وبعادهم.

رابعاً: التمني: التمني هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، ولو كان حصوله مشكوكاً فيه أو مستحيلاً، والفرق بينه وبين الترجي «أنَّ الترجي توقع أمر مشكوك فيه أو مظنون، والتمني: طلب أمر موهوم الحصول، وربما كان مستحيل الحصول»^(٣).

وأدوات التمني: إن أداة التمني الأصلية فيه (ليت) وأنَّ الحروف الأخرى فرعية، وهي (هل) و(لو) و(لعل) و(ألا)^(٤).

وقد خرج التمني في كتاب الورقة إلى أغراض عدة منها التحسر والحزن: وهو من أغراض التمني البلاغية، وهو «التلهف على الشيء الفائت، يقال: حسرت عليه حسراً وحسرة، وذلك انكشاف أمره في جزعه وقلة صبره»^(٥) كقول الشاعر [الكامل]^(٦):

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ جَوَابِي أَمَّا الرَّسُولُ فَقَدْ مَضَى بِكِتَابِي
وَتَعَجَّلْتَ نَفْسِي الظُّنُونِ وَأَشْرَبْتَ طَمَعَ الحَرِيصِ وَخَشْيَةَ المُرْتَابِ
وَيَرَوَعُنِي حَزَكَاتُ كُلِّ مُحَرِّكٍ وَالبَابُ قَرَعَتْهُ وَأَلَيْسَ بِيَابِي

(١) ينظر: شرح المفصل: ٣/٨

(٢) ينظر: الورقة، ١٣٣.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٨٦/٢.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ٤٤٣؛ وشروح التلخيص حاشية الدسوقي: ٤/٤٠٦-٤١٠.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة، ٦٢/٢.

(٦) ينظر: الورقة، ابن الجراح، ٥٢.

وَاحْسَرَتَا مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ إِنَّ كَانَ مَا أَخْشَاهُ رَدَّ جَوَابِي

في الأبيات تظهر حسرة الشاعر وحزنه، وهو في حال انتظار وترقب بعد أن أرسل مع الساعي رسالته إلى محبوبته، ويصف حاله من الخوف والتوجس والقلق، فكل حركة أو رعشة أو قرع باب تخيفه وترعبه، منتظراً أن يعود الرسول بالجواب، وأخشى ما يخشى أن يرد الجواب بالرفض والرد.

- النداء: هو طلب الإقبال ب (يا) أو بإحدى أخواتها والمراد بالإقبال مطلق الإجابة.^(١)

اختلف النحاة والبلاغيون في عدد أحرف النداء، فأحرف النداء عموماً هي :

(يا) و (أي) و (آ) و (أيا) و (وا) والهمزة، منها ما يختص بنداء البعيد حساً أو حكماً وهو المنزل منزلة البعيد لارتفاع محله أو لانخفاضه، وواحد فقط لنداء القريب وهو الهمزة^(٢)، وأغراضه كثيرة كالتعجب والتحسر والزجر والاستغاثة^(٣)، ومن مزايا النداء قد يصحبه الأمر والنهي، وكأنها تهيئة للنفس يستقبل بها طبيعة النداء وفحواه^(٤).

أما المعاني المجازية للنداء في شعر الورقة فمنها غرض الاستغاثة والتحسر: وهو غرض من الأغراض البلاغية للنداء^(٥)، ومثاله من الورقة قول الشاعر عبد الخالق^(٦):

رب إنني ظلمت نفسي فأفرطت وأنبت الغفور للظلام

فاعف عني يا مالك العفو واغفر لي ركوبي هول الذنوب العظام

يستند الشاعر ويستغيث بالله كي يعينه على ما أصابه من مصائب مردها ظلم الشاعر لنفسه وإفراطه في حق الله مستعظماً بالله عز وجل بقوله (يا مالك العفو)، منادياً مستجداً طالباً الغفران بسبب ما اقترفته يده من ذنوب وكبائر عظيمة لا يغفرها إلا الله ولا يعفو عن مرتكبها إلا الغفور الرحيم.

(١) حاشية الخصري: ٧١/٢.

(٢) ينظر: شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك: ١٠٤/٢.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: ١٦٦-١٦٧.

(٤) ينظر: التنعيم اللغوي في القرآن الكريم: ١٥٦.

(٥) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ١٦٦.

(٦) ينظر: الورقة، ابن الجراح، ٩٠.

لقد أدرك الشاعر متأخراً بعد أن قضى عمره في المعاصي والخطايا أنه ظلم نفسه ظلماً شديداً، فیتحسر ويندم على ما قدم من عمل لا یغتفر لهوله وعظمه ولكنه یستغیث مستتجداً برب عفو كريم مستخدماً أسلوب النداء الذي خرج فيه إلى المجازي الذي یفید الاستغاثة والتحسر والتفجع.

الخاتمة:

- ١- یعد كتاب الورقة من المناهل الأولى التي اعتمد عليها من ألف في تراجم الشعراء فيما بعد فقد تم تألیفه في القرن الثالث الهجري.
- ٢- احتوى كتاب الورقة على تراجم لرجال لا یُعرف عنهم أنهم شعراء بالدرجة الأولى بل كانوا رجال أدب ورواة شعر أمثال الكسائي والأصمعي.
- ٣- إن ترجمة المؤلف لشعراء مغمورين تضيف قيمة إضافية لكتاب الورقة على ما سواه.
- ٤- إن المؤلف كان یعود في بعض تراجمه للمشاهير والمغمورين من شعراء كتاب الورقة إلى مصادر سبقته أو عاصرته، ولكنه في بعض نقولاته لم یکن یسمي الكتب التي ینقل عنها، وقد برزت بعض ملامح السيرة مثل الجوانب النفسية والاجتماعية والفكرية وقد قلت الجوانب الشكلية.
- ٥- تجلی بوضوح تداخل الفنون في كتاب الورقة فلقد تضمن ملامح السيرة كالبعد الخارجي والنفسي والاجتماعي، كما تضمن الكتاب أشعاراً ذات موضوعات متنوعة كالغزل والمدح والوصف.
- ٦- من حیث الدراسة الفنية فقد اجتهد شعراء الورقة في توظيف المحسنات البلاغية اللفظية والمعنوية بما یخدم المعنى المراد إیصاله في النص الشعري، وهذا نابع عن تأثرهم العمیق بالتراث الشعري بمن سبقهم على اعتبار أنهم من الشعراء المحدثين.
- ٧- حفل شعر كتاب الورقة بأساليب الطلب من أمر ونهي ونداء واستفهام وتمني بغزارة، وقد خرجت هذه الأساليب من معناها الحقيقي إلى أغراض مجازية كثيرة مناسبة لسياق الكلام ومراد قائلها من تلك الأغراض كالتوجع والتحسر والتفجع والالتماس.
- ٨- استعان الشعراء في كتاب الورقة بالبحور المركبة والبسيطة والقوافي المجهورة والصامتة للتعبير عن الأغراض المختلفة.

أهم المصادر والمراجع

١. أساليب التعبير الأدبي، السعافين إبراهيم، وآخرون، دار الشروق . عمان ١٩٩٧م.
٢. أسرار البلاغة، الجرجاني، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثانية . مكتبة القاهرة، ١٩٦٧م.
٣. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريق، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، دار الصمعيي الرياض . السعودية، ٢٠١٧.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، اعتنى به: عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١ / ٢٠٠٣ م.، ٢٢/٢٦٣، تاريخ بغداد.
٦. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٢٦هـ)، دار الكتاب، العربي، بيروت، (د.ت).
٧. تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، الصابئ، هلال بن المحسن، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان.
٨. الثقافات ممن لم يقع في الكتب الستة، ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السوداني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشبخوني) الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث، صنعاء، ٢٠١١هـ.
٩. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر، ١٩٦٩م.
١٠. سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٨٥م.
١١. السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ، فيليب لوجون، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط١، ص ١٩٩٤م.
١٢. طبقات النسابين، بكر أبو زيد، بكر بن عبد الله بن محمد بن ع بد الله بن بكر بن عثمان بن محمد (ت ١٤٢٩هـ)، دار الرشد، الرياض، ١٩٨٧م.
١٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق علوم الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، طبع

بمطبعة المقتطف بمصر، ١٩١٤م.

١٤. علوم البلاغة (البيان - البديع - المعاني)، أحمد مصطفى مراغي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٥. فن التقطيع الشعري والقافية، صفاء خلوصي، منشورات مكتبة المثني ببغداد، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.
١٦. فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، الحديدي، عبد اللطيف، دار السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
١٧. فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاق، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦٢م.
١٨. الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان. دار الفتوى، بيروت، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
١٩. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، عز الدين، (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي. بيروت، ١٩٩٧م.
٢٠. كتاب الورقة، ابن الجراح، محمد ابن داود، تحقيق: د. عبد الوهاب عزام، أ. عبد الستار أحمد فراج.
٢١. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قراوغي بن عبد الله (٦٥٤هـ)، تحقيق: محمد بركات، كامل الخراط، عمار ربحاوي، رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزبيق، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣.
٢٢. المرشد إلى فهم أشعار العرب، د. عبد الله الطيب المجذوب. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ١٩٥٥ م.
٢٣. المعجم الأدبي، جبور، عبد النور، دار العلم للملايين، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
٢٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٥. المؤلف والمختلف، الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب

- الإسلامي . بيروت، ١٩٨٦م.
٢٦. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي، دار الكتب.
٢٧. **الوافي بالوفيات**، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م،
٢٨. **الوساطة بن المنتبي وخصومه**، القاضي محمد علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، (د.ت).
٢٩. **وفوات الوفيات**، الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر . بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤م.